الفصل الخامس

المديح الدينى السياسى

مديح آل البيت

١

إذا كان الشعراء قد امتدحوا الرسول لصفاته ونبوته ، فقد امتدحوا آله وبيته لمقامه ورفعته بين البيوت . وقد دفعهم الألم والحرمان فى كثير من الأحيان إلى الالتفاف حول البيت ، فأظهروا عاطفة الدين ممزوجة بعاطفة السياسة — إذا صحّ التعبير — ، واتخذوا من المديح الدينى لآل البيت وسيلة سياسية للمطالبة بالخلافة والحكم ، والدعوة إلى الثأر والانتقام والتنديد بالظلم كما يصورونه حين يرون أنه انصب على هذه الأسرة وهذا البيت ؛ حتى لقد بالغ بعضهم فى هذا المديح فاستعله استغلالا واسعاً وقلبه إلى رثاء وتشيع للبيت وآله ، وأصبح هذا التعلق سبيلا إلى التفرق ، وغدا هذا الحب سبيلا إلى البغض لأن السياسة دخلته ، وما دخلت السياسة شيئاً إلا غيرت من معالمه وأفسدت من أهدافه . لذلك أنشد الشعراء فى المفاضلة بين الصحابة والأصفياء ، وقالوا فى حق الخلافة ؛ وألحوا على صور الفواجع التى ألمت بأهل البيت كمقتل الحسين وإحياء ذكراه فى مآتم تستعاد فيها ذكرى المآسى ! فجرى الشعر فى الدواوين كما جرت الدماء فى تلك المنازعات من قبل ، وظل كذلك حتى اليوم تهتز له الأسماع فى كثير من الأصقاع وينشد فى المحافل ، حتى لكأننا فى الأيام الأولى للإسلام ، نشهد الفاجعة من جديد ، ونحياها فى أسى وتظلم وبغض وحقد ، يحمل الأبناء فكرة الانتقام من أحفاد لا يملكون إلا الأسف لما وقع بين أجدادهم فى القديم .